

## الوضعية ونقادها في العلاقات الدولية (دراسة نقدية للنظريات الوضعية)

الدكتور خالد موسى المصري

قسم العلاقات الدولية

كلية العلوم السياسية

جامعة دمشق

### الملخص

خلال العقود الماضية ظهرت بعض المداخل والتيارات الجديدة في دراسة العلاقات الدولية. تُجمع هذه التيارات على نقد المنهجية والأسس الإبستمولوجية للنظريات الوضعية. تركزت أهم الانتقادات في إمكانية دراسة العلاقات الدولية دراسة علمية كما ندرس العلوم الطبيعية. فبينما انطلقت النظريات الوضعية من وحدة العلوم وتطبيق أسس البحث العلمي القائمة على الملاحظة والتجريب، رأت التيارات الجديدة بضرورة التركيز على العوامل الاجتماعية والثقافية. في هذا البحث حاولنا تقييم إسهام النظريات الوضعية (الواقعية، الليبرالية) وأهم الانتقادات الموجهة لها من قبل التيارات النقدية (مدرسة فرانكفورت، ما بعد الحداثة)، ودراسة المشهد الحالي لعلم العلاقات الدولية.

## مقدمة:

شهدت العقود الثلاثة الماضية بروز مجموعة من المداخل الجديدة في دراسة العلاقات الدولية التي سرعان ما أخذت حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين، وأصبحت جزءاً من أدبيات هذا العلم. ومع تعدد هذه المداخل والاختلاف فيما بينها من حيث النظرة إلى العلاقات الدولية وكيفية دراستها، إلا أنها تُجمَع على محور واحد وهو نقد ونقض الافتراضات الإبستمولوجية والمنهجية للفلسفة الوضعية التي سيطرت على دراسة العلوم السياسية والعلاقات الدولية خلال ما يقارب الأربعين عاماً امتدت من منتصف القرن العشرين وحتى بداية العقد التاسع من ذلك القرن. وقد دعيت هذه التيارات بالنقدية، ليس لأنها تنتقد الاتجاهات الوضعية فحسب، بل لكونها تدعو إلى عدم الانطلاق من افتراضات ومسلمات مسبقة عن الظاهرة السياسية تقول بوجود حقيقة أو حقائق بعيدة عن إرادة الفرد تسهم في العلاقة السببية بين هذه الظاهرة ومسبباتها، وتدعو أيضاً إلى دراسة دور الفرد في الإسهام والقدرة على التعامل مع هذه الظواهر، وأثر العامل الثقافي والاجتماعي في تكوين رؤية الفرد للظاهرة أو المنظومة المعرفية السائدة في مدة زمنية معينة. وقد شكلت إسهامات هذه التيارات والردود التي أفرزتها لدى أتباع الوضعية ما سمي بالجدل الراهن في العلاقات الدولية بعد ثلاثة جداول عكست مسيرة دراسة هذا العلم منذ بداياته بعد الحرب العالمية الأولى. هدَفَ هذا البحث إلى دراسة إسهام التيارات الوضعية في دراسة العلاقات الدولية، والانتقادات التي وجهتها التيارات النقدية لها، ومحاولة استشراف مستقبل هذا العلم خلال العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين.

## أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يقدم دراسة لإسهام النظريات الوضعية في دراسة العلاقات الدولية، ومحاولة تقييم مدى التراكم المعرفي الذي خلفته الدراسات الوضعية. كما يسهم هذا البحث في إلقاء الضوء على الجدل الراهن في العلاقات الدولية، وخاصة ما يتعلق بالمنهجية والأسس الإبستمولوجية وما قدمته النظريات النقدية أو ما بعد الوضعية.

## مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث بالجدل الأكاديمي الإبستمولوجي والمنهجي في دراسة العلاقات الدولية، إذ يلاحظ المتابع لتطور هذا العلم أن هناك نقطة انعطاف في هذا العلم تعكس طبيعة مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وتبرز حقيقة العلوم الاجتماعية، ومنها العلاقات الدولية، بأنها علوم تتطور، ولكن مازالت

بعيدة عن الحسم في منهجيتها وأسس الحصول على المعرفة في مجالاتها المتعددة. فالوضعية شكلت الفلسفة الأساس لإنتاج المعرفة ودراسة الظاهرة الاجتماعية والسياسية مدة طويلة قبل أن تتعرض للانتقاد من قبل التيارات الجديدة، ويدخل علم العلاقات الدولية في مرحلة جديدة يصفها بعضهم بأنها ثورة منهجية.

#### سؤال البحث:

حاول البحث الإجابة عن السؤال الآتي:

إلى أي حد أسهمت الوضعية في تطور دراسة العلاقات الدولية، وما الانتقادات الموجهة إليها؟

#### فرضية البحث:

ينطلق البحث من الفرضية الآتية:

مع الانتقادات الموجهة للوضعية كمنهجية وأسس إبستمولوجية، إلا أنها كانت وماتزال تشكل الأساس لنظريات دراسة العلاقات الدولية التي قدمت كثيراً من التراكم المعرفي في هذا العلم.

#### منهج البحث:

نظراً إلى طبيعة البحث، فإن المنهج الاستقرائي ومنهج تحليل المضمون سيشكلان العمود الفقري للمنهجية المستخدمة في هذا البحث، إذ تتبّع الدراسات في العلاقات الدولية، وخاصة الوضعية منها، وحاول تحليل مضمون هذه النصوص، ومن خلال ذلك قيّم مدى إسهامها في الحصول على المعرفة العلمية في مجال العلاقات بين الدول.

#### مخطط البحث

مقدمة

المطلب الأول: تطور علم العلاقات الدولية

المطلب الثاني: الفلسفة الوضعية والعلاقات الدولية

المطلب الثالث: الانتقادات الموجهة للوضعية في العلاقات الدولية

المطلب الرابع: مستقبل الجدل الأكاديمي في دراسة العلاقات الدولية

خاتمة

## المطلب الأول: تطور علم العلاقات الدولية

يُميّز أساتذة العلاقات الدولية بين أربع مراحل زمنية في تطور دراسة العلاقات بين الدول، وتعكس كل مرحلة من هذه المراحل جدلاً فكرياً بين تيارات أكاديمية حاولت أن تدرس العلاقات الدولية من خلال مدخل أو مقارنة معينة. فمنذ نشأة هذا العلم مع تأسيس أول مقعد لدراسة العلاقات الدولية في جامعة Aberystwyth في ويلز في بريطانيا العظمى عام 1919، برزت تساؤلات أساسية كالتالي يحاول الإجابة عنها أي مجال علمي آخر. ما موضوع الدراسة؟ وما حدود هذا العلم؟ وما أفضل الطرائق للدراسة؟ وكيف نحصل على المعرفة التي تخدم الإنسانية؟ للإجابة عن هذه الأسئلة اختلفت الاتجاهات فيما بينها من حيث الأولوية ومن حيث المنهجية. فعلى سبيل المثال، عكست طبيعة مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى أولويات الباحثين في هذا المجال، إذ تركز اهتمام المفكرين والساسة على حد سواء على دراسة أسباب الحروب ونتاجها على المجتمع الدولي، وكيف يمكن للدول حل نزاعاتها من دون اللجوء إلى الحرب كوسيلة للوصول إلى أهداف سياسية. وقد ظهر هذا في الجدل الأول بين مدرستين هما المدرسة المثالية و المدرسة الواقعية. ونظراً إلى طبيعة هذا البحث وأهدافه لن نستطرد بدراسة هذه الجدالات إلا بالقدر الذي يخدم غرض الدراسة، وهو إسهام التيارات الوضعية وما بعدها في دراسة العلاقات الدولية.

### أولاً : الجدل الأول First Debate

كان لنتائج الحرب العالمية الأولى أثر كبير في تحديد طبيعة هذا الجدل، إذ دأب أتباع الفريق الأول الذي مثل ماسمي بالمدرسة المثالية Idealism في دراسة أسباب الحروب وكيفية مساعدة الدول على تجنب هذه الظاهرة التي أدت إلى قتل الملايين من الضحايا ودمار بلدان وبنى تحتية، وأعاقت الحياة للملايين الآخرين. فقد رأى أتباع هذه المدرسة ضرورة وضع مجموعة من القواعد والقوانين والمؤسسات الدولية مهمتها تخفيف حالة الشعور لدى الدول بعدم الأمان، وغياب الثقة في العلاقات الدولية. وفي هذا الإطار، جاء طرح الرئيس الأمريكي آنذاك وودرو ويلسون Woodrow Wilson بضرورة تأسيس منظمة دولية تكون المرجعية للدول في سبيل الحفاظ على الأمن والسلام الدوليين، وقد كانت عصبة الأمم League of Nations نتيجة هذا الفكر. جاء ذلك ضمن ما سمي بمبادئ ولسون الأربعة عشر التي نصت على احترام سيادة الدول، وإرادة الشعوب بتقرير مصيرها، وعدم جواز التدخل في شؤون الدول، والدعوة إلى ضرورة الانتقال إلى الدبلوماسية العنيفة بدلاً من الدبلوماسية السرية التي كانت سائدة خلال القرون الماضية. وقد شكلت القيم والمبادئ الإنسانية منطلقاً لهذه

المدرسة، إذ دعا أتباعها إلى ضرورة بناء العلاقات الدولية على أساس القانون الدولي والقيم والأعراف التي تقرها الشرعية الدولية، لذلك أطلق على هذا التيار اسم المدرسة المثالية، إذ تنطلق مما يجب أن تكون عليه العلاقات الدولية. بالمقابل، كانت المدرسة الواقعية Realism التي انطلقت من أن دراسة العلاقات الدولية يجب أن تبنى على ما هو قائم، أي على الواقع، وليس ما يجب أن تكون عليه. فالواقع أن الدولة تبني سياساتها وعلاقاتها الخارجية على المصلحة الوطنية National Interest وقوة الدولة وليس على قواعد القانون الدولي إلا بقدر ما تخدم هذه القواعد مصلحتها الوطنية. وقد أشار أدوارد هولت كار Edward Halt Carr، في كتابه "أزمة العشرين عام" "The Twenty Years Crisis" إلى أنه لا يوجد انسجام في المصالح بين الدول، بل هناك تعارض وتضارب بين المصالح يجعل الدول تسعى دوماً لزيادة قوتها لحماية مصالحها وأمنها الوطني. امتد هذا الجدل خلال مرحلة بين الحربين العالميتين، إذ انتهى بتراجع المدرسة المثالية و سيطرة الواقعية نتيجة إخفاق عصبة الأمم، وعدم قدرة المجتمع الدولي على تجنب الحرب العالمية الثانية.<sup>1</sup>

## ثانياً: الجدل الثاني Second Debate

شكلت المنهجية المحور الأساس للجدل بين المدخل التقليدي Traditional Approach والمدخل العلمي Scientific Approach في دراسة العلاقات الدولية خلال العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين، إذ رأى أتباع التيار التقليدي أن العلاقات الدولية يجب أن تُدرس من خلال دراسة التاريخ والقانون الدولي والفلسفة السياسية. وقد مثل هذا التيار هدلي بول Hedley Bull الذي يعدُّ كتابه المجتمع الفوضوي The Anarchical Society أحد أهم المراجع في العلاقات الدولية بشكل عام، و المدرسة الإنكليزية بشكل خاص. في حين مثل المدخل العلمي مورتون كابلان Morton Kaplan من جامعة شيكاغو الذي شكل كتابه "النظام والتفاعلات في السياسة الدولية" "System and Process in International Politics" مرجعاً أساسياً للتيار العلمي. يستند هذا التيار إلى افتراضات المدرسة السلوكية Behavioralism في العلوم الاجتماعية التي تقول: إن سلوك الفرد، أو مجموعة الأفراد، أو الدولة يتم وفق نماذج تتكرر محكومة بقوانين أو شبه قوانين يمكن دراستها دراسة علمية مبنية على الملاحظة والتجريب.

1 Martin Hollis, Steve Smith, Explaining and Understanding International Relations, New York, Oxford Press, 1991, p. 17

### ثالثاً: الجدل الثالث Third Debate

في حين تركز الجدل الثاني على مسألة المنهجية في دراسة العلاقات الدولية، كان موضوع هذا العلم والفاعلون في النظام الدولي وسلوكهم وموقعهم وأثرهم في تحديد معالم هذا النظام، المحور الأساس في الجدل الثالث. فمع بداية العقد السابع من القرن العشرين، كانت دراسة العلاقات الدولية تشهد تطوراً سريعاً، وقد سيطرت المنهجية العلمية المبنية على الافتراضات الوضعية بما أنتجته من تراكم هائل في مجالات عديدة في العلاقات الدولية، وخاصة الدراسات الأمنية. ففي العقود الثلاثة التي سبقت انتهاء الحرب الباردة، كانت الكتب والدوريات تزخر بالكتابات التي مثلت طرفي هذا الجدل. فبينما مثل الطرف الأول أتباع الواقعية الجديدة، أمثال كينث ولترز، وجوزف غريغو، وجون ميرشايمر، مثلت كتابات روبرت كوهيني وجوزف ناي الطرف الثاني في الجدل الثالث، وقد سميت هذه الكتابات بالليبرالية الجديدة المؤسسية. في حين رأى أتباع الواقعية الجديدة أن الدولة القومية تشكل الفاعل الأساس في العلاقات الدولية، وتتصرف بشكل عقلاي، وتسعى لزيادة قوتها النسبية لتحافظ على مصلحتها الوطنية المعرفة بالأمن القومي، وعلى رأسه البقاء في ظل نظام دولي تغيب عنه السلطة المركزية، وبيئة دولية يسودها الغموض وعدم الوضوح وغياب الثقة بين الدول. فضلاً عن ذلك، يرى الواقعيون الجدد أن العلاقات الدولية هي صراع على القوة، وأن توازن القوى يمثل السبيل الأفضل إلى الاستقرار في النظام الدولي. يرى أتباع الليبرالية الجديدة أن هناك قوى فاعلة أخرى فضلاً عن الدولة القومية تؤدي دوراً مهماً في العلاقات الدولية، مثل المنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية، والشركات متعددة الجنسية. كما يعتقد الليبراليون الجدد بأن غياب السلطة المركزية في النظام الدولي يقود إلى التعاون وليس إلى الصراع، كما يعتقد الواقعيون. أما المصلحة الوطنية فهي ليست بالضرورة معرفة دوماً بالأمن القومي، بل هي متعددة الجوانب، فهي الاقتصاد والبيئة والأمور الاجتماعية والثقافية تبعاً للمرحلة وأولويات للدولة.<sup>2</sup>

كان لهذا الجدل أثر كبير في نقل دراسة العلاقات الدولية من مراحلها الأولى إلى مرحلة جديدة أسست لثورة منهجية جعلت علم العلاقات الدولية يحتل مكانة متقدمة بين العلوم الاجتماعية له تراث و تراكم معرفي هائل.

2 Paul Viotti, Mark Kuppi, International Relations Theory, 4th ed, New York, Pearson, 2010, P. 43

## الجدل الرابع : Fourth Debate

مع بداية العقد الثامن من القرن العشرين، ظهرت مجموعة من الكتابات التي أخذت تنتقد الأسس الإستمولوجية و المنهجية المبنية على الفلسفة الوضعية التي سيطرت مدة طويلة على دراسة العلاقات الدولية. ومع التطور الكبير الذي حققه علم العلاقات الدولية، إلا أن تيارات جديدة بدأت تنتقل من العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع إلى العلاقات الدولية، تشير إلى أن مشروع الحدأة الذي بنيت عليه الوضعية لم يستطع تقديم ما سعى إليه الإنسان وهو تحريره وإطلاق فكره لصناعة الخير للإنسانية جمعاء. وقد سمي هذا الجدل مع بداية التسعينيات من القرن الماضي بالجدل الراهن، وهو بين التيارات الوضعية والتيارات الجديدة التي سميت فيما بعد الوضعية.<sup>3</sup>

والحقيقة أن هذا الجدل يشكل جوهر هذا البحث. ولكن قبل الانتقال إلى ذلك، وجدنا لزاماً علينا إعطاء فكرة بسيطة عن الفلسفة الوضعية بشكل عام، ومن ثمّ درسنا الوضعية في العلاقات الدولية والانتقادات التي وجهت إليها قبل أن نختم بنظرة مستقبلية عن طبيعة الجدل الراهن مع بداية القرن الحادي والعشرين.

### المطلب الثاني: الفلسفة الوضعية والعلاقات الدولية

#### أولاً: الفلسفة الوضعية

يعدُّ أوغست كونت August Comte، الفيلسوف الفرنسي المولود في مونبلييه عام 1798، مؤسس الاتجاه الوضعي في علم الاجتماع الذي يعود الفضل له أيضاً بوضع التسمية لعلم الاجتماع Sociology. فقد انعكست اهتمامات كونت وقدراته في الرياضيات والعلوم والفيزياء على نمط تفكيره العلمي، وخاصة بعد أن شهد الانتصارات الكبرى التي حققتها هذه العلوم في مجال المعرفة والتطور العلمي. فرأى إمكانية استخدام الطرائق العلمية المطبقة في هذه العلوم لدراسة المجتمع، وقد كان يرغب بإطلاق عنوان "الفيزياء الاجتماعية" على العلم الجديد، إلا أن عالم الرياضيات والفلك ادولف كيتلي كان قد استخدمه من قبل. وقد ميّز كونت بين ثلاث مراحل للمعرفة في تاريخ البشرية:

أ- المرحلة اللاهوتية : تتسم هذه المرحلة بكونها بدائية تشبه مرحلة الطفولة البشرية، وفيها يبحث الإنسان عن أسباب الظواهر وينسبها إلى قدرات خارقة يعتقد أنها وراء هذه الظواهر .

3 Steve Smith, Ken Booth, Marysia Zalewski, International Theory: Positivism & Beyond, London, Cambridge Press, 1996, P. 23

فالمعرفة في هذه المرحلة لا تأتي عن طريق البرهان أو الاختبار، إنما تأتي من الإيمان بالمعجزات والتفكير الخرافي، وتعزو الظواهر إلى آلهة قادرة على كل شيء.

ب- المرحلة الميتافيزيقية: في هذه المرحلة يبدأ الإنسان باللجوء إلى التفكير والتأمل في الظواهر، وبذلك يبتعد عن رد أسباب الظواهر إلى الإله، ولكن يجدها في أشياء بعيدة عن متناول الإنسان حيث تحل المبادئ الميتافيزيقية محل الآلهة. ويصبح الفكر الإنساني في هذه المرحلة حبيس تصورات فلسفية ترد الواقع إلى مواد أولية، مثل الطبيعة أو النار...

ت- المرحلة الوضعية: وهي أعلى المراحل، حيث يبدأ الإنسان دراساته وبحوثه عن الظواهر المحيطة به، محاولاً الحصول على المعرفة المبنية على الملاحظة والتجريب.<sup>4</sup>

إلا أن الوضعية ليست مدرسة أو اتجاهاً واحداً، فهناك أكثر من اتجاه داخل هذه الفلسفة، فهناك الوضعية المنطقية التي تمثلت في حلقة فينا Vienna Circle، والوضعية الاختبارية أو وضعية كونت التجريبية.

يطلق اسم الوضعية المنطقية على أعمال حلقة فينا التي سعى أعضاؤها إلى الربط بين المنطق والحصول على المعرفة. فقد رفضت هذه الحلقة أيضاً الميتافيزيقيا كمصدر للمعرفة، وركزت على التحليل المنطقي كمنهج علمي لدراسة الظواهر. ويلخص بعض علماء الاجتماع أهداف هذه الحلقة في:

1- نفي وعدم قبول الفكر الميتافيزيقي.

2- شرح لغة العلوم وتوضيحها، وهي المهمة الحقيقية للفلسفة.<sup>5</sup>

في حين بنى كونت فلسفته على الملاحظة والتجريب واستخدام الطرائق العلمية لدراسة الظاهرة الاجتماعية. وقد أشار انتوني غدنز Anthony Giddens، في كتابه "السياسة، علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية"، "Politics, Sociology, and Social Theory" إلى أن هناك نقاط التقاء بين الوضعية المنطقية والوضعية التجريبية أهمها:

1- محاولة جعل الفلسفة علمية، والعمل على وحدة العلم.

2- بناء المعرفة على أسس اختبارية.

4 فيليب كابان، جان فرانسوا دورتييه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، ترجمة ايلاس حسن، دمشق، دار الفرق 2010، ص 21

5 عيسى عبدالله، في نظرية المعرفة، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغلزي، ليبيا، 2011، ص 156



3- رفض التأمّلات الفلسفية التي ينقصها التحليل والدقة والوضوح، إذ لا تجد الميتافيزيقا التقليدية مكاناً لها في المعرفة العلمية.<sup>6</sup>

### ثانياً: الوضعية في العلاقات الدولية

تعود البدايات الأولى للوضعية في العلاقات الدولية إلى المدرسة السلوكية التي سيطرت على دراسة العلوم السياسية منذ العقد الخامس من القرن العشرين. إذ انتشرت المقالات والدراسات والكتب التي تطبق المنهجية العلمية للفلسفة الوضعية. وازدهرت الدراسات الأمنية التي عكست طبيعة مرحلة الحرب الباردة التي سيطر عليها الاهتمام بالأمن وسبل الحفاظ على البقاء للمعسكرين، والانتصار على الآخر. وقبل الانتقال للحديث عن الإسهامات الأساسية للوضعية في هذه المرحلة لا بدّ من الإشارة إلى أن الوضعية في العلاقات الدولية انطلقت من أربعة افتراضات أساسية هي:

- 1- أن هناك قوانين أو شبه قوانين تحكم الظاهرة السياسية.
- 2- يمكن اكتشاف هذه القوانين باستخدام العقل.
- 3- السبيل إلى ذلك هو الملاحظة والتجريب.
- 4- يمكن فصل الذات عن الموضوع.<sup>7</sup>

بالنظر إلى هذه الافتراضات، نجد أن أتباع الوضعية قد انطلقوا من أن العلاقات الدولية يمكن دراستها بالطرائق نفسها المستخدمة في العلوم الطبيعية، إذ يرى الوضعيون أن هناك في العالم من حولنا قوانين أو شبه قوانين تحكم الظاهرة وتجعلها تتكرر عبر الزمن، وحقيقة مستقلة عن إرادة الإنسان تسهم في تحديد هذه الظواهر وتكرارها. ويمكن للباحث أن يكتشف هذه القوانين عن طريق التفكير العلمي والابتعاد عن الميتافيزيقا والعواطف، واستخدام العقل فقط. والسبيل لاكتشاف هذه القوانين هو الملاحظة والتجريب. كما أن الوضعيين يؤكدون إمكانية فصل الذات عن الموضوع، أي أن يكون الباحث موضوعياً قادراً على منع عواطفه وقيمه من أن تؤثر في دراسته للظاهرة قيد الدراسة. وقد ظهر ذلك جلياً في الكتابات التي انتشرت في مرحلة الحرب الباردة في مجالات عديدة أهمها الدراسات الأمنية.

6 Anthony Giddens, Politics, Sociology and Social Theory, London, Stanford, 1995, p. 138

7 Robert Jackson and George Sorensen, Introduction to International Relations, London, Oxford, 1999, p.228

### الأمن القومي، التعاون الدولي والوضعية:

وهما مفهومان يشكلان جوهر العلاقات الدولية، فالعلاقات بين الدول إما حرب أو تعاون وسلام، وهذا ما عكسته الدراسات في هذا العلم خلال مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية، إذ نجد كتباً ضمت بعناوينها هذين المفهومين تعبيراً عن طبيعة العلاقات الدولية. فعلى سبيل المثال، كتب ريموند آرون Raymond Aron كتاباً بعنوان "الحرب والسلام: نظرية في العلاقات الدولية" Peace and War: Theory of "International Relations"، ودوريات مثل الأمن الدولي International Security و"حل النزاعات" Conflict Resolution و"دراسات السلام" Peace Studies، هذه الدوريات كلها امتلأت بدراسات اعتمدت الوضعية كمنهجية وأساس للدراسات العلمية، مطبقة المناهج الكمية المبنية على الملاحظة والتجريب. والحقيقة أن الوضعية في العلاقات الدولية تعدّ امتداداً للمدرسة السلوكية، إذ اعتمد العديد من افتراضات السلوكية ولكن بأكثر عمقاً. فقد عدّ أتباع الوضعية أن عالمنا السياسي والاجتماعي، الدولي والمحلي، تتكرر الظواهر فيه وتحدث ضمن نماذج تعيد ذاتها، ويمكن لهذه الظواهر أن تفسر وتشرح إذا استخدمت المنهجية المناسبة. وقد جاءت النظريات الوضعية لتعكس هذه الأسس المعرفية أو الابدستمولوجية. ويبدو ذلك من خلال توصيف أحد رواد الوضعية "كينث ولترز" لماهية النظرية العلمية، إذ حدد سمات هذه النظرية بما يأتي:

- 1- صحيحة ومحددة.
- 2- ليست نسبية، بمعنى أنها تنطبق في كل مكان، ليست محدودة على مكان معين.
- 3- قابلة للتصديق أو النفي.
- 4- ذات قوة كبيرة في الشرح.
- 5- منسجمة مع ما سبقها من معرفة علمية.

كما حدد خطوات وضع مثل هذه النظرية بالنقاط الآتية:

- 1- ضع النظرية المراد دراستها.
- 2- استنتج الفرضية من النظرية.
- 3- اخضع الفرضية لاختبارات مبنية على الملاحظة والتجريب.
- 4- عرّف المفاهيم و المتغيرات قيد الدراسة.
- 5- يجب تحييد أي متغير دخيل يمكن أن يؤثر في نتائج الدراسة.
- 6- إجراء اختبارات متعددة ومختلفة للفرضية.

7- إذا كانت نتائج الاختبار سلبية، اسأل هل نُفِيَت النظرية بشكل كامل، وأنها غير صحيحة، أم أنها تحتاج إلى تعديل أو إعادة صياغة، أو حتى جعل مجال تطبيقها وتعميم نتائجها أقل.<sup>8</sup>

وفي هذا البحث حاولنا دراسة إسهام الوضعية في العلاقات الدولية من خلال التركيز على نظريتين هما الواقعية والليبرالية.

### أولاً: النظرية الواقعية:

هيمنت النظرية الواقعية على دراسة العلاقات الدولية خلال العقود الخمسة الأخيرة من القرن العشرين، إذ أثرت بنية النظام الدولي لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية في الاتجاهات الفكرية والنظريات، والأسس المعرفية والمنهجية المطبقة في تلك المرحلة. فقد تركزت الدراسات على الأمن القومي، وسبل الحفاظ على الاستقرار الدولي. ويبدو ذلك جلياً من خلال الكم الهائل للبحوث والدراسات التي نشرت في تلك المرحلة، إذ شهدت هذه العقود ما سمي بالعصر الذهبي للدراسات الأمنية.

وتنطلق الواقعية من مجموعة من الافتراضات، أهمها:

- 1- أن الدولة الأمة هي الفاعل الأساس في العلاقات الدولية - Nation State is the Main Actor in international politics.
- 2- أن الدولة الأمة فاعل عقلاني وموحد "تتصرف بصوت واحد" - Nation State is a rational actor and a unitary actor.
- 3- المصلحة الوطنية، المعرفة دوماً بالأمن القومي، وعلى رأسه البقاء إذ يُشكّل المحدد الأساس لسلوك الدولة.
- 4- تجري العلاقات الدولية في ظل نظام دولي تغيب عنه السلطة المركزية "فوضى" Anarchy.
- 5- تسعى الدولة لزيادة مكاسبها وقوتها النسبية State seeks to maximize its relative gain.
- 6- أن السياسة الدولية كأية سياسة أخرى هي صراع على القوة.

8 Kenneth Waltz, Theory of International Politics, New York, McGraw Hill, Reading Addison-Wesley, 1979, p. 13

والواقعية نظرية متشائمة ترى أن الإنسان أناني، وعدواني، يسعى لتحقيق مصالحه الذاتية، كما يرى أتباع الواقعية أن الأخلاق والقيم تؤدي دوراً ثانوياً في تحديد سلوك الفرد.<sup>9</sup>

والحقيقة أن الواقعية ليست مدرسة واحدة، بل مجموعة من الاتجاهات الفكرية التي تجمعها بعض الافتراضات، وهناك خمسة اتجاهات داخل الواقعية هي: الواقعية الكلاسيكية، والواقعية الكلاسيكية الجديدة، والواقعية الجديدة، والواقعية الهجومية، والواقعية الدفاعية. وبسبب طبيعة هذا البحث لن تُبحث هذه التيارات منفصلة بل سوف تعدُّ الواقعية بافتراضاتها المشتركة كنظرية وضعية واحدة.

تعود جذور هذه النظرية إلى كتابات ثيوسيديدس Thucydides الذي حدّد في كتابه "تاريخ حروب البلوبينيز" "History of the Peloponnesian War" الأسباب الحقيقية والاستراتيجية لهذه الحروب التي لخصها بتعاظم قوة أثينا والخوف الذي زرعه هذه الزيادة لدى اسبارتا. فزيادة القوة تعني تغييراً واختلالاً في ميزان القوى الذي بدوره يولد الشعور بعدم الأمان وعدم الوضوح. كذلك شكل الأمان القومي المحور الأساس في اهتمام كلتا الدولتين "المدنيتين". فمن الواضح أن القوة، وتوازن القوى، والأمن القومي كانت المفاهيم الأساسية في قراءة ثيوسيديدس لأسباب الحرب، وهي مازالت تشكل المفردات الأساسية للواقعية بمختلف أشكالها في الوقت الحاضر. وقد أسهم في إغناء هذا التقليد أو النظرية العديد من الفلاسفة والأكاديميين مثل نيكولا ميكافيلي، وسانت أوغستين، وكارل فون كلازوفيتز وإدوارد كار، قبل أن تأتي البداية العلمية مع هانس مورغنتاؤ.

ولعله من المفيد هنا التنويه إلى تطور هذه النظرية عبر التاريخ وإسهامات العديد من المفكرين والسياسة، إلا أن طبيعة البحث تقتضي التركيز على إسهام الواقعية كنظرية تستخدم الفلسفة الوضعية كأساس إبستمولوجي ومنهج لدراسة العلاقات الدولية. يمكن إجمال إسهامات الواقعية بثلاثة مجالات:

- 1- الدراسات الأمنية وأسباب الحروب.
- 2- المنهجية.
- 3- الاستقرار والتغيير في النظام الدولي.

#### 1- الدراسات الأمنية:

اختلف علماء السياسة والاستراتيجية في مفهوم الأمن وتعريفه، وإن كان هناك بعض القبول للتعريف الذي ينطلق من أن الأمن هو ألا يشعر الفرد بأن قيمه وحياته مهددة.<sup>10</sup> ومع انقسام العالم إلى

9 Paul Viotti, Mark Kuppi, International Relations Theory, New York, Pearson, 2010, p. 48

10 John Baylis, Colin Gray, Strategy, London, Oxford, 2007, P 13

معسكرين بعد الحرب العالمية الثانية، بدأ الاهتمام بالدراسات الأمنية التي ركزت على حماية الأمن القومي الأمريكي من "الخطر الشيوعي"، ومايشكله هذا "الخطر" من تهديد للقيم والأمن القومي. وقد أدى السلاح النووي دوراً كبيراً في تحديد مسار هذه الدراسات، إذ استحوذت مسائل الردع النووي ومفاهيم كبيرة، مثل الضربة الأولى، وتوازن الرعب، على حيز كبير من اهتمام المفكرين. وبرزت كتابات عديدة تعدّ من أهم الدراسات الأمنية، مثل دراسات برنارد برودي، وروبرت اوسغود، وتوماس شيلنج وآخرين. يأتي اهتمام الواقعيين بالأمن من نظرتهم إلى طبيعة النظام الدولي التي تتميز بغياب السلطة المركزية القادرة على نصررة المظلوم ومعاقبة الظالم، ولذلك تسعى كل دولة لحماية أمنها القومي بزيادة قوتها الذاتية التي تجعل الدول الأخرى تنظر إلى هذه الزيادة على أنها تهديد لأمنها، وتدخل هذه الدول بما يسمى بالمعضلة الأمنية، ولذلك يعدّ الواقعيون أن الأمن القومي للدول المعرّف بالبقاء يأتي على قمة أولويات هذه الدول.

وقد تركزت البدايات الأولى للدراسات الأمنية على الجانب العسكري لمفهوم الأمن القومي، وتمثل بدراسة السبل والاستراتيجيات للدول لصد الأخطار الخارجية والحفاظ على وحدة أراضيها. كما شكل استخدام القوة بأشكاله العديدة من ردع وإكراه وتهديد باستخدام هذه القوة المحور الأساس للدراسات الأمنية. فنجد على سبيل المثال أن استراتيجية الرد الشامل والرد المرن والردع النووي كانت قد هيمنت على الفكر الاستراتيجي، وخاصة في المرحلة الأولى من الحرب الباردة الممتدة من 1945 وحتى 1970 التي تلتها مرحلة الانفراج ومعها بدأت الدراسات الأمنية تركز على الحد من الأسلحة، وسبل كبح سباق التسلح بين المعسكرين. إلا أن مرحلة الانفراج لم تدم سوى عشر سنوات، ومع وصول الرئيس رونالد ريغان إلى البيت الأبيض، بدأت المرحلة الثانية من الحرب الباردة ومعها مرحلة جديدة من سباق التسلح، وخاصة بعد أن طرح الرئيس رونالد ريغان مبادرة حرب النجوم. ولكن يؤخذ على الدراسات الأمنية بالمنظور الواقعي أنها ركزت على القوة العسكرية، وأغفلت الجوانب الأخرى الاقتصادية والاجتماعية للعلاقات الدولية. كما أنها ركزت على الصراع بين القوتين العظميين وأغفلت دول العالم الثالث، فضلاً عن إغفال مصادر تهديد غير حكومية للأمن القومي، مثل الإرهاب الدولي والقوى العابرة للحدود.

وقد ترافق تطور الدراسات الأمنية بزيادة كبيرة في دراسة أسباب الحروب بين الأمم، إذ أصبحت تدرس في مقررات مستقلة وتعدّ جزءاً من الخطة الدراسية لكثير من الجامعات. وتعدّ دراسة ديفيد سنغر David Singer في مشروع جامعة ميتشغان عن أسباب الحروب Measuring the Correlates of War من الدراسات الأولى في هذا المجال، إذ قدمت هذه الدراسة تحليلاً واضحاً للمنهجية التي

استُخدمت في تحليل أسباب الحروب ونتائجها على الصعيد الدولي، وكانت بمنزلة مؤشر لتوجيه الدراسات التي تلت.<sup>11</sup> كما شهدت جامعات أخرى دراسات عديدة، مثل دراسة بروس بينو دي مسكيتا Bruce Bueno de Mesquita "مصيصة الحرب" The War Trap، مستخدماً نظرية الخيار العقلاني، حيث الفاعل (الدولة) تقوم بحسابات الربح و الخسارة، وتحاول زيادة المنافع وتخفيض الخسائر. ومايكل نكلسون Michael Nicholson العقلانية وتحليل الصراع الدولي، Rationality and the Analysis of International Conflict، الذي عدّه كثير من علماء السياسة دفاعاً عن الطرائق العلمية في العلوم الاجتماعية بشل عام، والعلاقات الدولية بشكل خاص. وقد وظف المنهج الكمي ونظرية اللعبة لبيبي طبيعة الخيارات للدول عند تحديد الأهداف الاستراتيجية لها.<sup>12</sup> ودراسة جون فاسكوييس John Vasques "لغز الحرب" War Puzzle. ومن الدراسات التي تعدُّ شاملة في هذا المجال دراسة كوينسي رايت Quincy Wright "دراسة الحرب" Study of War.<sup>13</sup> إذ استعرض كوينسي رايت مختلف الاتجاهات والمداخل لدراسة ظاهرة الحرب في المجتمع الإنساني. وما يميّز هذه الدراسة هو شمولها لسبل تحقيق السلام وبناء الثقة بين الأمم.

## 2- المنهجية:

الإسهام الثاني للواقعية في دراسة العلاقات الدولية كانت المنهجية التي اتبعها الواقعيون في دراساتهم الاستراتيجية، وخاصة أسباب الحروب. فقد هيمن المنهج الكمي على معظم دراساتهم الأمبريقية. ومن خلال استعراض سريع للمناهج التي قدمتها الواقعية، نجد فضلاً عن المنهج الكمي مناهج عديدة، مثل المنهج المقارن ودراسة الحالة. كما يُعدّ مدخل مستويات التحليل من أهم إسهامات الواقعية في مجال المنهجية. ويمكن الإشارة هنا إلى بعض الدراسات الكمية التي مهدت الطريق لدراسات عديدة في دراسة الظاهرة السياسية. دراسة جاك ليفي Jack Levy "تماذج تاريخية في حرب القوى العظمى من 1495 إلى 1975" Historical Trends in Great Power War, 1495-1975 التي تعدُّ إحدى أهم الدراسات التي استخدمت المنهج الكمي، إذ جمع بيانات تشمل خمسة قرون، وقام بتحليل السياسات للدول العظمى وتشكيل الأحلاف بين هذه القوى، وأثرها في الحروب. فضلاً عن دراسة ليفي، تعدُّ دراسة دانييل غيلر وديفيد سنغر Daniel Geller, and David Singer "أمم في الحرب دراسة

11 J. David Singer, Paul Diehl, Ed, Measuring The Correlates of War, Ann Arbor, University of Michigan Press, 1993.

12 Michael Nicholson, Rationality and the Analysis of International Conflict, Cambridge, Cambridge University Press, 1992, P202

13 John A. Vasques, The War Puzzle, Cambridge, Cambridge University Press, 1993, p. 29

علمية في الصراع الدولي"، "Nations at War" نموذجاً للدراسات الكمية المبنية على معلومات وإحصائيات أميريقية استخدمت أكثر من 500 تحليل كمي، سواء كان على مستوى الفرد، الدولة أو النظام الدولي.<sup>14</sup>

### 3- الاستقرار والتغيير في النظام الدولي:

مع أن النظرية الواقعية تنتقد وتتهم بأنها أغفلت مسألة التغيير، إلا أن الواقع يشير إلى العكس فقد قدمت أدبيات الواقعية العديد من الدراسات الرائدة في مجال الاستقرار والتغيير في بنية النظام الدولي. في هذا الإطار، يكفي أن نذكر نظرية كينث ولترز في توازن القوى والاستقرار، ونظرية روبرت غلبن في الحرب و التغيير في السياسة العالمية.

شكل كتاب كينث ولترز "نظرية السياسة الدولية" نقطة تحول كبيرة في مسيرة النظرية الواقعية، إذ يعدّ البداية للواقعية الجديدة التي تتميز عن الواقعية التقليدية، بالتركيز على بنية النظام الدولي بوصفه الأهم في مستويات التحليل لدراسة العلاقات الدولية. فبالنسبة إلى ولترز توزيع القوة بين القوى العظمى يحدد طبيعة العلاقات بين الدول. فهو يقول: إن العلاقات الدولية المستمرة تشكل نظاماً دولياً. فالنظام الدولي إما أحادي أو ثنائي أو متعدد الأقطاب تبعاً لتركز القوة بين الدول. وقد استعار ولترز مفهوم السوق من الاقتصاد ليبنى نظريته في السياسة الدولية. فكما الأيدي الخفية من قوة العرض والطلب تولد استقرار السوق، فإن توازن القوى يولد الاستقرار في النظام الدولي.<sup>15</sup> ولذلك يعدّ ولترز النظام الدولي ثنائي القطبية أفضل النظم، لأن القطبين يستطيعان المحافظة على توازن القوى، بعكس النظام متعدد الأقطاب الذي يصعب السيطرة فيه على سياسة التحالفات والتغيير في تكتلات الأقطاب، ولذلك يكون النظام الدولي متعدد الأقطاب أكثر عرضة لاختلال التوازن وعدم الاستقرار.

### 4- الحرب والتغيير في السياسة الدولية

يعدّ روبرت غلبن من أهم أساتذة العلاقات الدولية الذين تناولوا مسألة التغيير في بنية النظام الدولي، إذ قدم في كتابه "الحرب والتغيير في السياسة الدولية" Robert Gilpin, "War and Change in World Politics" إطاراً نظرياً يشرح من خلاله نظريته التي يرى فيها أن طبيعة العلاقات الدولية لم تتغير على مدى آلاف السنين، ويوظف نظريات علم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ لتحديد القوى التي تحدث

14 Daniel S. Geller, David Singer, Nations at War A Scientific Study of International Conflict, Cambridge, Cambridge University Press, 1998, P123

15 Kenneth Waltz, Realism and International Politics, New York, Routledge, 2008, p. 99

التغيير في النظام الدولي. إذ يرى في تباين نسب نمو القوى، وخاصة العسكرية والاقتصادية للدول العامل الأساس في عملية التغيير. فالتباين في نسب النمو بين القوى العظمى يقود إلى اختلال في ميزان القوى الذي يقوم عليه النظام السائد، ويبدأ التنافس بين القوى الصاعدة والمهيمنة بحيث تشعر الدول الصاعدة بتراجع القائد للنظام، بفرصة ذهبية للتغيير لصالحها. وينطلق غلبن في نظريته من الافتراضات الآتية:

- 1- يكون النظام الدولي مستقراً (أي في حالة توازن) إذا لم تعتقد أية دولة بأن التغيير لصالحها.
- 2- تسعى دولة ما إلى التغيير في النظام الدولي إذا كانت الدولة تتوقع بأن المنافع المتوقعة تزيد على التكاليف.
- 3- ستسعى دولة ما إلى تغيير النظام الدولي عن طريق التوسع الإقليمي، والسياسي، والاقتصادي حتى تتساوى التكاليف الحدية لأي تغيير إضافي مع المنافع الحدية أو تزيد عليها.
- 4- عندما يتم التوازن بين تكاليف المزيد من التغيير و التوسع ومنافعه، يصبح هناك ميل لأن ترتفع التكاليف الاقتصادية للمحافظة على الوضع الراهن بصورة أسرع من القدرة الاقتصادية على دعم الوضع الراهن.
- 5- إذا لم يحل انعدام التوازن في النظام الدولي، فسيتغير هذا النظام، وينشأ توازن جديد يعكس إعادة توزيع القوى.<sup>16</sup>

بناءً على هذه الافتراضات، يشرح روبرت غلبن عملية تغيير النظام الدولي. فهو يقول: إن النظام الدولي يكون في حالة توازن واستقرار مادامت الدول الأكثر قوة في النظام راضية عن الترتيبات السياسية والإقليمية والاقتصادية القائمة، أي إن هذه الدول قانعة بدورها و بموقعها و مكاسبها ضمن الترتيب الراهن. وعلى الرغم من وجود إمكانية حدوث بعض التغييرات الطفيفة إلا أن حالة التوازن تبقى سائدة ما دام لا توجد دولة كبرى ترى مصلحة عظمى في التغيير تفوق الكلفة لهذا المسعى. ولكن مع الزمن، تتراكم نتائج التباين في نسب النمو بين الدول الكبرى ومعها يحدث إعادة توزيع القوى في النظام الدولي، وهذا بدوره يقود إلى اختلال وعدم توازن في النظام فتسعى الدول للتغيير وعودة الاستقرار للنظام.

إن ما قدمه كل من كينث ولترز وروبرت غلبن في دراسة العلاقات الدولية، وخاصة في مجال استقرار النظام الدولي وأسباب الحروب وآلية التغيير، يعدُّ مثلاً على ما قدمته الدراسات الوضعية عبر العقود

Robert Gilpin, War and Change in World Politics, New York, Cambridge University Press, 16 1991,p11



الخمسة الأخيرة. وقد شكّلت هذه الدراسات الأساس الذي بنيت عليه دراسات أخرى لتنتج هذا التراكم المعرفي الكبير الذي نشهده هذه الأيام في دراسة العلاقات بين الدول.

### ثانياً: النظرية الليبرالية

شكلت النظرية الليبرالية الركن الثاني من أركان الدراسات الوضعية في دراسة العلاقات الدولية، وخاصة في العقد السابع من القرن العشرين، حيث كانت الليبرالية طرفاً في الجدل الثالث مع الواقعية. وتنطلق الليبرالية من الافتراضات الآتية:

- 1- تؤدي الدولة الوطنية-القومية- وقوى أخرى فاعلة في النظام الدولي، دوراً مهماً في العلاقات الدولية. أي إنّ الليبرالية تعدّ القوى الفاعلة الأخرى غير الدولة مهمة وتؤدي دوراً كبيراً في النظام الدولي. فالمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية والشركات متعددة الجنسيات قوى مهمة في العلاقات الدولية، وقد ازداد دور هذه القوى بعد الحرب الباردة.
  - 2- النظام الدولي تغيب عنه السلطة المركزية، ولكن هذا يقود الدول للتعاون وليس للصراع كما يعتقد الواقعيون.
  - 3- يعترف الليبراليون بأن الدول تتصرف لتحقيق المصلحة الوطنية، ولكن على العكس من الواقعيين المصلحة الوطنية للدولة ليست معرفة دوماً بالأمن القومي، بل هي متعددة الأشكال تبعاً للظروف، فهي إلى جانب الأمن القومي، تعاون وشراكة اقتصادية، وإصلاحات سياسية واقتصادية، وحماية البيئة....
  - 4- تسعى الدول لزيادة قوتها المطلقة وليست النسبية، لأن الدول تفترض أن التعاون وليس التنافس يحقق مصالحها.
  - 5- الدولة الوطنية ليست بالضرورة تتصرف بصوت واحد أو بشكل عقلائي، لأن هناك داخل الدولة بيروقراطيات ومؤسسات وجماعات ضغط تحاول التأثير في صناعة القرار. فالقرار بالنسبة إلى الليبراليين يأتي نتيجة مساومات، وليس نتيجة حسابات عقلانية فقط كما يفترض الواقعيون.
- هذه الافتراضات تشير إلى أن أتباع الليبرالية يعدّون القانون الدولي والمنظمات الدولية مهمة جداً في العلاقات بين الدول. كذلك ينقل الليبراليون نظرتهم الليبرالية إلى المجتمع المحلي من تعددية وتعاون إلى رؤيتهم للعلاقات الدولية. وهنا يمكن الإشارة إلى إسهام الليبرالية في دراسة العلاقات الدولية مستندة إلى الفلسفة الوضعية بنقطتين مهمتين:

أ- تركيز الليبرالية على مفهوم التعاون الدولي بما فيه دور المنظمات والمؤسسات الدولية وعملية التكامل الدولي والاعتماد المتبادل بين الدول.

ب- السلام الديمقراطي.

## أ- التعاون الدولي

إن العنوان الرئيس الذي يمكن لنا أن نضعه لاهتمام أتباع النظرية الليبرالية هو التعاون الدولي بمجالاته العديدة وأشكاله المتنوعة ونتائج العظيمة. ويمكن رؤية ذلك من خلال الأسئلة المركزية والافتراضات الأساسية لليبراليين. إذ يركز أتباع هذه النظرية على دور المنظمات والمؤسسات الدولية في تطوير التعاون بين الدول لمواجهة المسائل المشتركة التي تواجه المجتمع الدولي. فالتعاون الدولي خيار الدول لحماية مصالحها وحل المشكلات الكبيرة، وذلك هو التفكير العقلاني للدول في ظل نظام دولي تغيب عنه السلطة المركزية. فالمنظمات والمؤسسات الدولية تؤدي دوراً مهماً في العلاقات الدولية، وخاصة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة إذ ازداد دور هذه المنظمات نتيجة التغيير البنوي (تغيير في بنية النظام الدولي) الذي ترافق مع التغيير في أولوية القضايا الأساسية للدول. فالقضايا التي كانت دوماً تحتل مراكز ثانوية باهتمام الدول كالبيئة والتنمية المستدامة، والاحتباس الحراري، ومسألة الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والهجرة والفقر، والجريمة المنظمة، والمخدرات، والإيدز والاتجار بالأعضاء البشرية أصبحت تحتل مكانة متقدمة في مسائل الأمن القومي للدول. هذا التغيير في نظرة الدول لمسائل الأمن القومي جعل التعاون الدولي أولوية لدى الدول لمواجهة هذه القضايا العالمية.<sup>17</sup> فالليبرالية ترفض فكرة تقسيم السياسات بين عليا ودنيا - High Politics and Low Politics - كما يراها الواقعيون، فالقضايا كلها مهمة، ويمكن أن تكون الجزء الأهم في الأمن القومي للدول، وذلك تبعاً للتحديات وزمان هذه التحديات وخطورتها من وجهة نظر الدول. إلى جانب دور المنظمات الدولية في العلاقات الدولية، تميز إسهام الليبرالية في دراسة ظاهرة التكامل والاعتمادية المتبادلة بين الدول.<sup>18</sup>

إن الجانب الذي برزت فيه الليبرالية والليبرالية الجديدة المؤسساتية هو التقليد الذي رسخت أسسه، والكم الهائل من الأدبيات والدراسات التي بدأت بطرح مسألة في غاية الأهمية في العلاقات الدولية، وهي بداية ما سمي بالوظيفية ومن ثم الوظيفية الجديدة، ومنها أيضاً دور المؤسسات الدولية

17 Martin Griffiths, International Relations Theory for the Twenty-First Century, London, Routledge, 2011, p. 25

18 Paul R. Viotti, Mark Kuppi, International Relations Theory, London, Pearson, 2010, p 120

وجماعات المعرفة *pistemic Communities* في العلاقات بين الوحدات الفاعلة في النظام الدولي. إذ تعدُّ دراسة ديفد متراني David Mitrany عن التعاون بين الدول في سبيل مواجهة التحديات المشتركة التي تواجهها الدول بسبب التقدم التكنولوجي والفني الحجر الأساس لهذا التيار الذي بنيت عليه أهم إنجازات الليبرالية. فقد رأى ديفد متراني أن التقدم التكنولوجي سيخلق بعض التحديات الجامعة التي تواجهها الدول التي لا يستطيع معالجتها إلا ذوو الاختصاص والفنيون في الدول، وهذا يساعد على التعاون بين هذه الدول وتخفيف احتمالات الحروب. ويضيف متراني أن الفائدة المكتسبة من التعاون في هذا المجال ستقود الدول إلى التعاون في مجالات أخرى، منها الاقتصادية، وذلك من خلال ما أسماه "الانتشار Spill Over" حتى تصل إلى قطاعات كثيرة مشتركة بين الدول، وهذا يعزز احتمالات السلام في العالم.<sup>19</sup> في هذا الاتجاه، يرى الليبراليون تجربة الاتحاد الأوروبي كنموذج من نماذج التكامل و الاعتمادية، إذ بدأ في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي بمحاولة بسيطة للتعاون في مجال الحديد والصلب، ومن ثم تطور إلى اتحاد أوروبي بعد ستة عقود من البداية.

فضلاً عن التكامل كمدخل لدراسة التعاون الدولي، شكلت الاعتمادية المتبادلة *Interdependence* الجانب الكبير من الدراسات الليبرالية خلال العقود الخمسة الماضية، إذ أشار روبرت كوهيني Robert Keohane وجوزف ناي Joseph Nye في كتابهما الأول "العلاقات المتعدية للحدود الوطنية" *Transnational Relations* وفي كتابهما الثاني "القوة والاعتمادية" *Power and Interdependence* إلى أن العلاقات الدولية تشهد نمطاً من العلاقات غابت عن أجندة الواقعيين. أهم هذه الأنماط ازدياد الاعتمادية بين الدول والتشابك في العلاقات بين وحدات فاعلة في العلاقات الدولية بأشكالها المختلفة من دول ومنظمات دولية ومنظمات غير حكومية. ويرى الليبراليون أن هناك أثراً إيجابياً لهذه الأنماط من الاعتمادية، فهي تجعل سلوك الوحدات الفاعلة أكثر سلمية، لأن هذه الوحدات لن تضحي بمصلحتها الكبرى التي تتحقق من خلال الاعتمادية وليس الصراع.<sup>20</sup> فبالنسبة إلى أتباع الليبرالية، ازدادت درجة الاعتمادية بين الدول كانت فرص السلام أكبر.

### ب - نظرية السلام الديمقراطي

إن الإقلال من فرص الحرب لا يأتي فقط من ازدياد التجارة الحرة و الاعتمادية المتبادلة بين الدول، بالنسبة إلى أتباع الليبرالية، وإنما أيضاً من انتشار الديمقراطية في العالم، وهذا ما أثبتته العلاقات

19 Paul Viotti, Mark Kuppi, *International Relations Theory*, 4th ed, London, Pearson, 2010, p.126

20 John Baylis and Steve Smith, *The Globalization of World Politic*, London, Oxford, 1997, p.149

بين الدول الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية. إذ يجادل أتباع هذه النظرية بأن الديمقراطيات لا تحارب بعضها بعضاً ويسوقون مجموعة من الأسباب لغياب الحرب بين الدول الديمقراطية أهمها:

1- أن الثقافة السياسية في الدول الديمقراطية تقوم على قبول الغير والتعددية الحزبية واحترام الرأي الآخر والإحساس بالمسؤولية والمحاسبة الذاتية، وهذا ينعكس على علاقات هذه الدول مع بعضها بعضاً.

2- أن التداول السلمي للسلطة في الدول الديمقراطية من خلال الانتخابات يشكل ضابطاً لسلوك أصحاب القرار، فأى قرار غير شعبي سينعكس سلباً في الانتخابات التالية، ولذلك يكون صناع القرار أكثر حذراً في اتخاذ قراراتهم.

3- يعد أتباع النظرية الليبرالية أن الدول الديمقراطية تشكل فيما بينها منطقة من السلام Zone of Peace يصعب على قادة هذه الدول كسر هذا العرف من السلوك الحضاري وانتهاكه.<sup>21</sup>

وقد شكلت مرحلة ما بعد الحرب الباردة البيئة الملائمة التي ازدهرت خلالها هذه النظرية، إذ انتشرت الدراسات عن انتصار الفكر الديمقراطي على النظام الشيوعي. وقد كتب فرانسيس فوكوياما كتابه "نهاية التاريخ"، مبشراً من خلاله بحتمية انتصار الليبرالية الديمقراطية وأنها تشكل أفضل أيديولوجية لبناء نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي في تاريخ البشرية. وقد دعا الليبراليون إلى نشر الديمقراطية وتصديرها إلى دول العالم، وخاصة إلى المناطق التي تخدم المصلحة الوطنية الأمريكية. وأصبح تصدير الديمقراطية جزءاً من الاستراتيجية الأمريكية للأمن القومي، وخاصة بعد أحداث 11 أيلول 2001 .

ومن الناحية الأكاديمية، مازالت النظرية تتمتع باهتمام كبير بين أساتذة العلاقات الدولية. فعلى سبيل المثال، ما كتبه جاك ليفي Jack Levy عن هذه النظرية بأنها أقرب ما يكون إلى قانون طبيعي في العلاقات الدولية، يعبر عن أهمية هذه النظرية في التقليد الليبرالي. مجموعة أخرى من الأكاديميين، أمثال جان أون John Owen وبروس رست Bruce Russett ومايكل دويل Michael Doyle يرون أن نظرية السلام الديمقراطي من أقدر النظريات على تفسير غياب الحرب بين الدول الديمقراطية.<sup>22</sup> مع أنه من الصعب نفي هذه النظرية أو إثباتها من خلال الاختبار العلمي إلا أنها تعد من الإسهامات الكبيرة للنظرية الليبرالية في دراسة العلاقات الدولية.

21 Bruce Russett, Grasping the Democratic Peace, New York, Princeton, 1993, p. 74

22 Jill Steans, and others, An Introduction to International Relations Theory, London, Longman, 2010, p. 23-

ومع نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ماتزال الليبرالية بأشكالها المتعددة، مثل الليبرالية الجديدة والليبرالية الجديدة المؤسسية، تحتل مساحة كبيرة في أدبيات العلاقات الدولية، إذ تكاد لا تخلو من إسهاماتها أية دراسة جادة في هذا الحقل المعرفي، أو تستند إليها استراتيجيات للبلدان حول العالم، وخاصة الغربية منها.

هذا الاستعراض السريع لإسهام الواقعية والليبرالية يشير إلى الأسس الوضعية التي اعتمدها كلتا النظريتين في دراستهما للعلاقات الدولية. إذ تناولت الواقعية مسألة الأمن والاستقرار في النظام الدولي، ووجدته في توازن القوى وزيادة قوة الدولة والحفاظ على أمنها القومي. وهي بذلك تنطلق من افتراضات الوضعية بإمكانية دراسة العلاقات الدولية باتباع السبل العلمية بالملاحظة والتجريب. بالمقابل، تناولت الليبرالية موضوع التعاون الدولي، وهو الجانب الآخر للعلاقات الدولية مع الحرب. ومن خلال تأكيد الأسس الوضعية في دراسة العلاقات الدولية، أُشير إلى أن الدول تسعى لتحقيق مصالحها الوطنية من خلال التعاون وبناء منظمات ومؤسسات دولية تساعد الدول على مواجهة مسائل مشتركة عديدة.

### المطلب الثالث: الانتقادات الموجهة للوضعية في العلاقات الدولية

شهدت الثمانينيات من القرن العشرين تطوراً جديداً في دراسة العلوم السياسية بشكل عام، والعلاقات الدولية بشكل خاص، إذ برزت مجموعة من المداخل والتيارات الأكاديمية التي تنتقد الأسس المعرفية والابستمولوجية والمنهجية للوضعية، وكما جرى التنويه له في بداية هذا البحث، سميت هذه التيارات بالنقدية. وتتمحور هذه الانتقادات حول النقاط الآتية:

1- ترفض هذه التيارات افتراض الوضعية بوجود قوانين أو شبه قوانين تحكم الظاهرة السياسية، ومنه لا تقر التيارات النقدية بوجود حقيقة مستقلة و منفصلة عن القيم الإنسانية وتأثير الإنسان بمحيطه.

2- يرفض أتباع النظريات النقدية افتراض الوضعية بإمكانية فصل الذات عن الموضوع، أي إنه من الصعب وحتى من المستحيل أن يكون الباحث موضوعياً غير متأثر بالقيم والمشاعر والعواطف الشخصية التي يحملها. إذ يرى النقادون أنه حتى لو حاول الباحث أن يكون موضوعياً، فلا يستطيع كون ما يحمله هذا الفرد من معارف ومعنى للحقيقة هو حصيلة التفاعل المتبادل بين الفرد و البناء الاجتماعي الذي ينتمي إليه.

3- ترفض التيارات النقدية المنهجية الوضعية التي تقوم على الملاحظة والتجريب. فبالنسبة إلى أتباع النقدية الظاهرة الاجتماعية والسياسية لا تكرر ذاتها فهي فريدة، ومنه لا يمكن تعميم نتائج الدراسات التي أجريت على ظاهرة معينة على الظواهر الأخرى.

مع تعدد هذه التيارات واختلافها، إلا أن نقطة البداية لإسهاماتها في دراسة العلاقات الدولية تعدّ واحدة وهي إخفاق مشروع الحدّثة الذي قامت على أساسه الوضعية في تحقيق أهدافها المتمثلة في تحرير الإنسان من عبوديته للمادة أو للبيئة المحيطة به. على العكس من التيارات الوضعية التي تقول بحتمية تأثير البناء في سلوك الوحدات الفاعلة، فإنّ التيارات النقدية تعطي للإنسان الأولوية في قدرته على صنع البناء، وتقدم العوامل غير المادية كالثقافة والقيم والهوية والقوى الاجتماعية على البناء المادي. وبهذا الاتجاه ميّز النقاد بين نوعين من النظريات، النظريات التقليدية (الوضعية) والنظريات النقدية.

ويصف أتباع النظريات النقدية النظريات التقليدية بأنها نظريات شارحة Explanatory Theory، نظريات لحل المشكلات Problem Solving Theory، ونظريات الوضع الراهن Statuesque Theory. إذ يشير أحد أهم رواد النظرية النقدية في العلاقات الدولية روبرت كوكس Robert Cox، إلى أن النظرية دوماً توجد من أجل غرض ما ولصالح جهة ما، فلاتوجد نظرية من دون غرض، أي موضوعية. فالنظرية التقليدية تأخذ العالم كما تجده من هيمنة لمنظومة من علاقات القوة المادية والاجتماعية المتجسدة في مؤسسات أصبحت جزءاً من الإطار المفاهيمي لتحليل هذا العالم وفهمه، دون السعي إلى التغيير في هذا العالم لصالح الإنسان. وهنا المقصود بالعالم ليس العالم بمفهومه العام من بنية مادية من دول وتوزيع جغرافي وسكان، بل المقصود هو البناء المحيط بالفاعلين في النظام الدولي، بمعنى آخر البيئة الدولية التي تتفاعل من خلالها هذه القوى. فالهدف من مثل هذه النظريات، برأي روبرت كوكس، هو إعطاء الشرعية للتوزيع الراهن للقوى وللمنظومة المعرفية المهيمنة التي يستند إليها أصحاب القوة المهيمنين. فهو يدعو إلى عدم أخذ المفاهيم والمنظومات المعرفية كما هي، بل يجب نقدها والعودة تاريخياً إلى مرحلة بروز هذه المنظومة ووضعها في إطارها الزمني والمكاني، للكشف عن الأسباب التي جعلت هذه المنظومة تستمر وتهيمن وغيرها من المنظومات تختفي وتندثر. إنها القوة التي تولد المعرفة والمعرفة تحافظ على القوة. بالمقابل، يصف كوكس النظريات النقدية بأنها بنائية Constitutive ليست بعيدة عن موضوع البحث، بل هي تسهم في بنائه، إذ تمتلك النظرية من خلال ذلك القدرة على التغيير، ومنه تحرير الإنسان Human Emancipation وهو الجوهر والهدف لأي جهد أو مشروع معرفي. تركز النظريات النقدية على العوامل التي أهملتها النظريات التقليدية من قيم

وثقافة وهوية، أي ما يتعلق بالإطار المعرفي الشخصي كلاً من تاريخ وميزات وصفات شخصية للفرد والقوى الاجتماعية التي تعدُّ من أهم العوامل التي تساعد على تكوين رؤية الإنسان وتصوره عن أية ظاهرة في حياته.<sup>23</sup>

وفي هذا الاتجاه، يشير أتباع النظريات النقدية أو مابعد الوضعية في إطار نقدهم لمنهجية الوضعية، وخاصة الملاحظة والتجريب وفصل الذات عن الموضوع، إلى أن العالم من حولنا كالنص الذي نقرأه ولكن كل منا يصل إلى تفسيرات مختلفة للنص ذاته. إن تجاربنا وعواطفنا ومشاعرنا، والقيم التي نحملها والتفاعل بيننا وبين البناء يؤثر في تفسيرنا لهذا النص. فالعدوان الإسرائيلي على غزة، على سبيل المثال، هو من الناحية المادية كواقع واحد استخدام مفرط للقوة من قبل طرف على طرف آخر. فهل كانت التفسيرات وقراءة ذلك الحدث واحدة لدى الجميع؟ الحقيقة أن رؤية صانع القرار في مصر أو الأردن أو حتى فتح لم تكن كقراءة صانع القرار في سورية أو حماس، مع أن الحدث ذاته بواقعه بضحاياه وآثاره المدمرة. فالإيديولوجيا والمبادئ والتجربة التاريخية للأطراف كلها أسهمت بتحديد رؤية هذ الطرف وقراءته للحدث ذاته بطريقة تعكس تلك القيم والمفاهيم والتجربة التاريخية له. هذا ما يقصده أتباع ما بعد الوضعية بعدم قدرة الإنسان على الموضوعية حتى لو أراد ذلك. كذلك إن افتراضات الوضعية عن وجود حقيقة مستقلة عن الإنسان يمكن اكتشافها بالملاحظة والتجريب تجد مزيداً من العقبات أمام مثل هذه القراءات المختلفة للظاهرة نفسها.

وهنا يمكن لنا أن نورد بعض النقاط الأساسية التي تميز التيارات النقدية عن التيارات الوضعية:

- 1- تعدُّ التيارات النقدية أن "طبيعة الإنسان" ليست معطاة، أي إنَّ الإنسان إمَّا عدواني وأتاني، كما تفترض النظرية الواقعية، أو أن طبيعة الإنسان جيدة كما يراها الليبراليون، بل هي محددة بظروف اجتماعية تسود خلال مدة معينة.
- 2- هذه الظروف الاجتماعية، والسياسة العالمية بشكل عام، تحدد بصراع تاريخي بين قوى اجتماعية مختلفة.
- 3- مع الاختلاف في العرق، والجنس، والدين، فإنَّ للإنسانية جمعاء، مصلحة في تحرير الإنسان.
- 4- إن جوهر تحرير الإنسان يكمن في التحاور و قبول الغير.
- 5- يفترض أتباع النظريات النقدية أن المعرفة أيديولوجيا، وليست حقيقة كما يدعي الوضعيون.

John Baylis and Steve Smith, The Globalization of World Politics, London, Oxford, 1997, p. 177 23

مما سبق، نلاحظ أنه، بينما تركز التيارات الوضعية على وجود عالم بعيد و مستقل عن إرادة الإنسان خالٍ من القيم، فيه قواين تحكم سلوك الفرد أو الدولة، يركز أتباع النظريات النقدية على القوى الاجتماعية التي تسهم في تحديد فكر الإنسان ووعيه وتجعله مساهماً في تكوين هذا العالم.

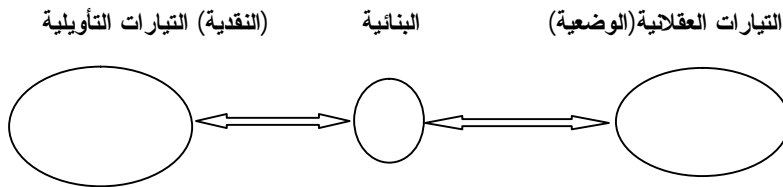
### المبحث الرابع: مستقبل الجدل في دراسة العلاقات الدولية

إن نظرة سريعة إلى الكتب والمقالات المنشورة خلال السنوات العشر الماضية في مجال دراسة العلاقات الدولية تبين استمرارية الجدل بين الوضعيين من جهة ومجموعة من الاتجاهات النقدية، مثل مابعد الحدائثة، مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية) والنظرية النسوية من جهة أخرى. ولكن ما يميز هذه المرحلة أيضاً هو بروز بعض الدراسات التي تحاول أن تضع نفسها في موضع الوسط بين الاتجاهات الوضعية، وتيارات ما بعد الوضعية، إذ تجمع هذه الاتجاهات أو المداخل بين بعض افتراضات الوضعية وخاصة الانطولوجية وافتراضات مابعد الوضعية وخاصة دور الفرد والعوامل الاجتماعية والثقافية والهوية في تحديد معنى بعض المفاهيم الأساسية، مثل الدولة، والمصلحة الوطنية، والأمن القومي التي يستند إليها الوضعيون في فهمهم للعلاقات الدولية. والحقيقة يمكن لنا أن نجمل الواقع الراهن لعلم العلاقات الدولية بثلاثة اتجاهات:

- 1- الاتجاهات الوضعية .
- 2- مداخل ما بعد الوضعية.
- 3- البنائية.

وتمثل التيارات الوضعية مجموعة النظريات التي يصفها بعضهم بأنها تتبنى المدخل العقلاني Rational approach كمنطلق لدراساتها للعلاقات الدولية، في حين تمثل الاتجاهات الأخرى ما يسمى بالتيارات التأويلية Reflexive . والبنائية Constructivism تشكل الجسر الذي يصل بين الاثنين، كما يبين الشكل الآتي:

شكل رقم 1 الجدل الراهن في العلاقات الدولية





بينما لا نود أن نستعرض النظرية البنائية بشكل كامل لأنها تستوجب بحثاً منفرداً، إلا أنه من الضروري هنا التنويه بالافتراضات الأساسية للبنائية، ولو بشكل مختصر، وكيف تطرح نفسها كجسر بين التيارات المتنافسة.

تنطلق البنائية من الافتراض بأن الإنسان كائن اجتماعي. أي إنه لا يمكن أن نكون أناساً من دون علاقاتنا الاجتماعية. بمعنى آخر، العلاقات الاجتماعية هي التي كونت الناس على ما هم عليه الآن. وبالمقابل، نحن نكون العالم من حولنا بما نعمل بما تمنحه الطبيعة لنا من موارد، وبما نقول لبعضنا بعضاً. وفعلاً القول بعض الأحيان كالقول، فما نقوله لبعضنا بعضاً يصبح جزءاً مهماً من تركيب العالم من حولنا. بهذا الاتجاه، كتب نيكولاس انوف Nicholas Onuf كتابه "عالم من صنعنا" World of our Making الذي يعدّ من البدايات الأولى للبنائية في العلاقات الدولية. فجوهر البنائية هو أن الناس (الأفراد) يصنعون المجتمع والمجتمع يصنع الناس. هذا الطريق ذو الاتجاهين، أو هذه العملية المتبادلة بين المجتمع والأفراد هي محور اهتمام البنائية. وقد ولدت هذه الافتراضات ما يسمى بالجدل "الفاعل و البناء" Agent Structure Debate. فالبنائية تأخذ من الوضعية افتراضها عن الدولة أو الـ Agent (الفاعل) وأن هذا الفاعل يسعى لتحقيق المصلحة الوطنية ولكن أية مصلحة؟ فبالنسبة إلى البنائيين، المصلحة الوطنية تتحدد بناءً على هوية الفاعل، والهوية تتحدد من خلال التفاعل بين الفاعل والبناء. فالنقطة الأساسية هنا أن البنائية تركز على الهوية والقيم والأفكار وعملية التعلم، وهذا ما يجمعها مع التيارات النقدية.

يعتقد البنائيون أن بنية النظام الدولي تتألف من قسمين: القسم الأول هو المادي الذي يتكون من توزيع القوى بين الدول. أما القسم الثاني، فهو البناء الاجتماعي المكون من القواعد والأعراف والقوانين التي تطبقها الدول. والجزء الثاني هو الأهم بالنسبة إلى البنائيين.

فبتركيز البنائية على وجود الدول كفاعل يسعى لتحقيق المصلحة الوطنية، ولكن في الوقت ذاته المصلحة تتحدد وتعرف عن طريق هوية الدولة و الهوية تحدد السلوك لهذا الفاعل، وهي بدورها تتحدد من خلال التفاعل بين الفاعل والبناء The interaction between the Agent and the Structure ، تكون البنائية قد جمعت بين بعض افتراضات الوضعية وافتراضات التيارات النقدية.<sup>24</sup>

وباختصار، فإنّ المشهد الحالي لدراسة العلاقات الدولية حاله حال بقية العلوم الاجتماعية تمر بمرحلة من التنافس بين تيارات عديدة، منها ما يرى أن السبيل الوحيد للمعرفة في هذا المجال هو الملاحظة

24 Nichols Onuf, Venduka Kubalkova, International Relations in a Constructed World, London, Sharp, 19998, P. 58

والتجريب، ومنها ما يرى أن العودة إلى الإنسان و القيم و الأفكار والتاريخ والعوامل الاجتماعية هي الطريق الأسلم في العلوم الاجتماعية. وبعض التيارات تحاول الجمع بين التيارين. أما هذا البحث، فقد انطلق من أن التيارات الوضعية كانت قد أسهمت ومازالت تسهم إسهاماً كبيراً في دراسة العلاقات الدولية، وستبقى الجزء الأكبر من أدبيات هذا العلم في السنوات القادمة، مع أن بعض المفكرين كان قد نعى هذه التيارات وبشر بتراجعها إلى الأبد. إن القيمة العلمية لإسهام كل تيار يجب أن تطور، فكل تيار له نقاط إيجابية وعليه نقاط سلبية و مأخذ، والسؤال الحقيقي للمستقبل هو إلى أي حد يمكن للباحث أو طالب العلم أن يجمع بين الاثنين أو يجد طريقاً آخر يستطيع من خلاله دراسة العلاقات الدولية؟ وخاصة في مرحلة أقل ما يمكن أن توصف بأنها مهمة للإنسانية، ونحن في بداية قرن لم يسلم من العنف والقتل والتدمير في المجتمع الإنساني.

## المصادر والمراجع

### أولاً: اللغة العربية

- 1- عيسى عبدالله، في نظرية المعرفة، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، 2011
- 2- فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، ترجمة اياس حسن، دمشق، دار الفرقد 2010

### ثانياً: اللغة الانكليزية

- 1-Anthony Giddens, Politics, Sociology and social theory, London, Stanford,1995
- 2-Bruce Russett, Grasping the Democratic Peace, New York, Princeton, 1993
- 3-Daniel S. Geller, David Singer, Nations at War A Scientific Study of International Conflict, Cambridge, Cambridge University Press, 1998
- 4-David Singer, Paul Diehl, ed, Measuring Correlates of War, Ann Arbor, Michigan University Press, 1990
- 5-Jill Steans and others, An Introduction to International Relations, Theory, London, Longman, 2010
- 6-John A. Vasques, The War Puzzle, Cambridge, Cambridge University Press, 1993
- 7-John Baylis and Colin Gray, Strategy, London, Oxford, 2007
- 8-John Baylis and Steve Smith, The Globalization of Global Politics, London, Oxford, 1997
- 9-Kenneth Waltz, Realism and International Politics, New York, Routledge, 2008
- 10-Martin Griffiths, International Relations Theory for the Twenty- First Century, London, Routledge, 2011
- 11-Martin Hollis and Steve Smith, Explaining and Understanding International Relations, London Oxford, 1991
- 12-Michael Nicholson, Rationality and the Analysis of International Conflict, Cambridge, Cambridge University Press, 1992
- 13-Nicholas Onuf, Vendulka, Kubalkova, International Relations in A Constructed World, London, Sharp, 1998
- 14-Paul Viotti and Mark Kuppi, International Relations Theory, 4<sup>th</sup> ed, London, Pearson, 2010
- 15-Robert Gilpin, War and Change in World Politics, Princeton, Princeton University Press, 1981
- 16-Robert Jackson, and George Sorenson, Introduction to International Relations, London, Oxford, 1991.